

الإمام علي رائد العدل والانسانية



بقلم منى السعيدى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين،

الإمام علي هو أبو الحسن الهاشمي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم

لم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق - بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم غيره عليه السلام، فقد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، فضائله أكثر من أن تحصى، ومناقبه أبعد من أن تتناهى، ولقد كانت أخلاقه قبساً من نور خلق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي تربى في حجره وعاش على مائدة مكارم أخلاقه،

هو أول من لبسَى دعوته واعتنق دينه، وصلّى معه، وهو أفضل هذه الأمة مناقب بعده

الحديث عن الامام علي عليه السلام طويل، لا تسعه الكتب، ولا تحويه الأرقام ولكن ما لا يدرك كلاًه لا يترك جلاًه، وحسبنا أن نشير هنا إلى بعض خصائصه وأخلاقه، لكي تكون مناراً ينير لنا درب القرب إلى □ تعالى والمعراج إليه، ونحيا حياة علي بن أبي طالب عليه السلام ونموت مماته.

إنَّ خير ما وصف به أمير المؤمنين عليه السلام هو قول الرسول الأعظم صلى □ عليه وآله وسلم حيث قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته وإلى شيت في حكمته وإلى إدريس في نباهته ومهايته وإلى نوح في شكره لربه وعبادته وإلى إبراهيم في وفائه وخلته وإلى موسى في بغض كل عدو □ ومنايذته وإلى عيسى في حب كل مؤمن ومعاشرته فليتنظر إلى علي بن أبي طالب».

وقال صلى □ عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «... لَوَلا أَنِّ تَقُولَ فَيْكَ طَوَّائِفُ مِّنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَقَوْلَاتُ فَيْكَ قَوْلًا لَا تَمُرُّ بِمَلَأٍ مِّنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ يَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَيْرَكَةَ...»

ان الصفة البارزة التي تميّز بها الإمام عليه السلام أنّه كان من أعظم المسلمين إيماناً □ تعالى، ومن أكثرهم معرفة به، وهو القائل: «لو كشف لي الغطاء ما ازدت يقينا...».

وهذا هو منتهى الإيمان، فقد كانت عبادته □ تعالى عبادة المنيبين والعارفين الأحرار لا عبادة التجار ولا عبادة العبيد، فقد وهب حياته □ تعالى، وجاهد في سبيله كأعظم ما يكون الجهاد، وكانت جميع أعماله خالصة لوجه □ تعالى لا يشوبها أيّة شائبة من أغراض الدنيا ومتعها التي يؤول أمرها إلى التراب،

ومن صفاته عليه السلام شجاعته النادرة التي صارت مضرب الأمثال وأنشودة الأبطال في كلّ زمان ومكان، فهو بطل الإسلام دون منازع، لا يعرف المسلمون سيفاً كسيف عليّ عليه السلام في إطاحته لرؤوس المشركين وأعلام الملحدين، ولولا جهاده وقوّة بأسه وصلابة موقفه لما قام الإسلام ولقضت عليه قريش في أوّل بزوغ نوره، وقد شاعت في جميع الأوساط شجاعته، حيث قال فيه رسول □ صلى □ عليه وآله وسلم: «إنّ أفرس الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام». ٩٠

أما زهده فقد زهد الإمام عليه السلام في الدنيا في جميع فترات حياته خصوصاً لما تولّى السلطة العامّة للمسلمين، فقد تجرّد تجرّداً تامّاً من جميع رغباتها وعاش عيشة البؤساء والفقراء، فلم يكن له داراً، ولم يلبس من أطياب الثياب وإنّما كان يلبس لباس الفقراء، ويأكل أكلهم، مواساةً لهم وهكذا انصرف عن الدنيا، وملأها ومانفعتها، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «ولقد ولي علي عليه السلام خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء، ولا حمراء».

إنّ من أوّليات المبادئ التي آمن بها واعتنقها هي القضاء على البؤس والحرمان، وتوزيع خيرات الله تعالى على عباده، فلا يختصّ بها فريق دون فريق، ولا قوم دون آخرين، وكانت مواساته للفقراء ومساواتهم للأغنياء من الأسباب الهامّة في بغض البعض له، واندفاعهم إلى مناجزته، ووضعهم العراقيل والسدود أمام مخطّطاته الهادفة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في الأرض. لقد كان أبو الحسن عليه السلام ملاذاً للفقراء وصديقاً حميماً للبؤساء، وقد تبذّر قضاياهم في جميع مراحل حياته خصوصاً في أيام خلافته.

لقد كان قلب أمير المؤمنين عليه السلام وفكره متعلقاً بالله تعالى في جميع فترات حياته، وسعى لكلّ ما يقرّب به إليه زلفى، وممّا قاله ضرار لمعاوية في وصفه للإمام: ولو رأيت في محرابه، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يتململ تمللم السليم (السليم: من لدغته الحيّة) ويكي بكاء الحزين، وهو يقول: «يا دنيا، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات، لا حاجة لي فيك، أبنتك ثلاثاً (أي طلاقك طلاقاً بائناً) لا رجعة لي عليك»، ثمّ يقول: «آه آه لبعث السّفْر، وقلّة الزّاد، وخشونة الطّريق»، وتأثّر معاوية وقال: حسبك يا ضرار، كذلك والله كان عليّ.

أنّ ما قيل وما كتب وما سيّقال ويكتب عن علي عليه السلام ليس إلا بمقدار جناح بعوضة أمام ذروة ربانية شامخة تجتمع فيه خلاصة المقامات ال

ية التي يعطيها اﻻ لخاصة أوليائه. فعظمة علي عليه السلام لا يعرفها أهل الأرض ولا أهل السماء, وقد ورد وصفه في الرواية: «كبير في الأرض جليل في السماء عظيم عند اﻻ سبحانه وتعالى». إنَّ عظمة علي عليه السلام يعرفها فقط المليك المقتدر.

أجل واﻻ يا رائد العدل والإنسانية لقد أهنت الدنيا، واحتقرت جميع مباهجها وزينتها، فقد أتتك الدنيا وتقلّدت أسمى مركز فيها، فلم تحفل بها، فسلام اﻻ عليك يا إمام المتّقين.وياسيد الوصيين يوم ولدت ويوم استشهد ويوم تبعث حيا

منى السعيدي

مجمع المبلغات الرساليات فرع البصرة